

رسالة الميلاد

إنَّ غيَابَ كَثِيرِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ عِيدِ الْمِيلَادِ عَنِ الْكَنِيسَةِ شَغَلَ ضَمِيرَ الْكَهَنَةِ الْوَرَعِينَ مِمَّا اضْطَرَّ
أَحَدُهُمْ أَنْ يَعَالَجَ الْمَشْكَلَةَ عَلَى طَرِيقَتِهِ . فَقَامَ بِزِيَارَةِ شَابٍّ غَنِيٍّ فِي رَعِيَّتِهِ وَدَارَ الْحَوَارِ التَّالِي :

الكَاهِنُ : أَخْبِرْنِي أَيُّهَا الْعَزِيزُ ، عِيدُ مَنْ هُوَ فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ كَانُونِ الْأَوَّلِ ؟

الشَّابُّ : طَبَعًا إِنَّهُ عِيدُ الْمِيلَادِ !

الكَاهِنُ : وَكَيْفَ يُعِيدُ النَّاسُ هَذَا الْعِيدَ ؟

الشَّابُّ : يُزِينُ النَّاسُ بِيوتَهُمْ بِشُجْرَةٍ وَمَغَارَةَ الْعِيدِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَفَنَّؤُا وَيَسْخَى عَلَى الزَّيْنَةِ ، دَاخِلَ الْبَيْتِ

وَخَارِجَهُ . يَجُوبُونَ الْأَسْوَاقَ لِلتَّسَوُّقِ فَتُغْصُّ الْمَتَاجِرُ وَالطَّرِيقَاتُ بِالنَّاسِ حَتَّى يَكَادُ يَدُوسُ

بَعْضُهُمُ الْبَعْضَ . وَتُصْرَفُ الْمَلَائِينُ الْمَلَائِينُ أحيانًا كَثِيرَةً عَلَى السَّهَرَاتِ وَالْمَآكِلِ وَالرَّقْصِ

وَاللَّهُوِ فِي الْمَطَاعِمِ وَالْقُصُورِ وَ... .

الكَاهِنُ : (مَقَاطِعًا) . حَسَنًا . وَمَا حَالُ النَّاسِ نَوِي الدَّخْلِ الْمَحْدُودِ فِي هَذَا الْعِيدِ؟

الشَّاب : هناك كثيرون من هذه الفئة من النَّاس يُمضون ليلة العيد في منازلهم ، التي لا تخلوا من زينة

متواضعة . يُمضونَ هذا العيد مع العائلة ، هو عيد لأولادهم ، فيهدونهم هدايا ، يسهرون ،

يأكلون طعام العيد المتواضع ويفرحون معاً برقص وأغانٍ وسُكْرٍ

الكاهن : وكيف يُعيِّدُ المسيحيونَ هذا العيد المبارك ؟

هنا صمت الشاب ونظر إلى الكاهن بتعجبٍ ، ثمَّ قال :

الشَّاب : ها قد أخبرتك يا أبتى كيف يُعيِّدُ المسيحيونَ عيد الميلاد !

الكاهن : طبعا لقد أخبرتني الواقع . ولكن هل ما ذكرته لي تسميه احتفالاً بعيد ميلادِ المُخلِّص ؟

قَطَّبَ الشَّابُ جَبِينَهُ ، ونظر إلى الكاهن وقال :

الشَّاب : وهل هناك طريقةٌ أخرى نُعيِّدُ فيها أبُها الأبُ الجليل ؟

الكاهن : إذا عرفنا المعنى الأساسي للعيد ، نستطيع أن نُعيِّدَ بطريقةٍ أصحَّ وأفضل .

الشَّاب : أخبرني إذا يا أبتى ، ما هو الأصحَّ والأفضل .

الكاهن : إنَّ عيدَ الميلادِ مُهمٌّ كما عيدُ الفصحِ ، لأنَّه تَتَمِّمُ لَتَدْبِيرِ اللَّهِ لِخَلَاصِنَا . تَصَوَّرَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي هُوَ

في المجدِ ، بعدَ أن رأى الإنسانَ مُكْتَنَفًا بِالْخَطَايَا ، والموتَ سَيِّدَ الموقِفِ ، ولا خلاصَ لأبنائِهِ

المعذِّبِينَ ... ، أحنى السَّمَوَاتِ ، ونزلَ إلينا ، ولبسَ صورةَ العبدِ بِرِضَاهِ وما زالَ في الوقتِ

نفسه ملكَ الملوكِ وربُّ الأربابِ ؛ صارَ إنساناً على شِبْهِنَا ، آخِذاً كُلَّ خواصِ طبيعتِنَا ما عدا

الخطيئةَ . والذي لا يسعه مكانٌ ، ارتضى أن يسكنَ في أحشاءِ امرأةٍ هي مريمُ العذراءِ ؛

والذي السَّمَاءُ عرشه والأرضُ موطنٌ لقدميه ، يولدُ في مغارةٍ حقيرةٍ ؛ والجالسُ بمجدٍ على

الشَّارُوبِيمِ ، يُضْجَعُ في مغارةٍ ؛ واللبسُ النُّورِ مثلَ الثَّوبِ ، والمُتَوَشِّحُ بالبهاءِ والجلالِ

كالسَّرْبَالِ ، يُلْفُ بِأَقْمِطَةٍ ؛ ارتضى اللهُ السَّيِّدُ أن يصيرَ إنساناً لكي يصيرَ الإنسانَ إلهاً .

(القدِّيسُ أَثْناسِيُوسُ الكَبِيرُ) .

الشَّابُّ : لماذا ، أيُّها الأبُّ الجليلُ ، صنعَ اللهُ هذا التَّدْبِيرَ بالذَّاتِ لِخَلَاصِنَا ؟ أفما كانَ يكفي أن يقولَ كلمةَ

واحدةَ لِيُبْعِدَ الأَلَمَ والموتَ عن جيلتهِ ، هو الذي بكلمةٍ فقط خلقَ كلَّ شيءٍ في الوجودِ ؟

الكاهن : إنَّ الله بسبب محبته الفائقة للإنسان لم يحتمل أن يرى الإنسان معذباً ببُعدِه عنه ، يرصُفُ في العبوديةِ المرّة تحت إمرة سيّد العالم ، أعني الشيطان . لذلك اضطرته رحمته ومحبته أن يتأنسَ ليشارك الإنسانَ مقهوريته ومظلوميته ومألوميته حتّى الموت لكي يمنحه بذلك ما لم يستطع أحد غيره أن يفعل ، ألا وهي القيامة المجيدة والملكوت السماوي والحياة الأبدية معه . لقد أخذ الله بتأنسه كلَّ عضوٍ من أعضاء جسدنا الترابي المائت وجعلها أعضاءً إلهيةً مجيدةً حيّةً إلى الأبد ؛ أمّا أرواحنا التي تننُّ داخل قفصها الجسداني من وطأة الشهوات والخطايا والغربة عن خالقها ، فألبسها من جديد الحرية والطهارة والجمال الإلهي والقُداسة... , وباختصار رمّم في الإنسان الصُورة الأصيلة التي عليها خلُقَ "على صورة الله" .

فكيف ينبغي إذاً أن نُعيدَ عيدَ الميلاد ؟

نظر الكاهن إلى الشاب ، ورأى في عينيه دموعاً . كان لسانه عاجزاً عن الإجابة بعد أن أيقن

بكلام قليل من فم الكاهن المبارك بعضاً من أسرارِ محبةِ الله الفائقة .

وبعد صمتٍ وسكون ، قال الشاب ،

الشَّابُّ : أَرى أَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ هى دِينونَةُ لَنَا وَدِينُ عَلِينَا . فَعَلَّمَنِ أَيُّهَا الشَّيْخُ القَدِيسُ كَيْفَ يَنْبَغى أَنْ نَعْبُدَ مِيلادَ رَبِّنا .

الكاهن : بادئِ ذى بَدْءٍ ، عَلِينا أَنْ نَتعاملَ مَعَ إِخوتنا بِمَحَبَّةٍ وَرَحْممةٍ ، نَتصالحَ مَعَ مَنْ أذنبَ إِلينا كما فَعَلَ اللهُ نَفْسَهُ عَندما تَألمَ وَماتَ مِنْ أَجلنا نحنَ المذنبينَ إِلَيْهِ ؛ وَنُشفقَ عَلى الفُقراءِ وَنُحسِنُ إِلَيْهِمْ فى هَذا العِيدِ الحاضِرِ حَتَّى لا يَجلِسوا إِلى مائدتِهِم المِيلادِيَّةَ الفارِغَةَ ، وَنُهْدى أولادِهِم ما يُفرِحُهُم حَتَّى لا تَدَمعَ عيونُهُم وَلا تَكْتئِبَ قلوبُهُم يَومَ عِيدِ الأَفراحِ . لِأَنَّهُ عَندما نُحسِنُ وَنرحمُ وَنُدخِلُ الفَرحَ إِلى قلوبِ النَّاسِ ، حينئذٍ نَكُونُ عَلى عَتبةِ العِيدِ ، عَلى أوَّلِ طَريقِ السَّماءِ .

الشَّابُّ : إِذا أَحسَنَ الغَنيُّ إِلى الفَقيرِ ، ماذا يَفعلُ الفَقيرُ حَتَّى يُكَافَأَ كَالغَنيِّ ؟

الكاهن : لَيسَ المالُ وَحدَهُ أَداءَةٌ لِلإِحسانِ . فَالفَقيرُ إِذا أَحسَنَ بَيدٍ مَفتوحَةٍ وَوَجِهٍ بِشَوشٍ عَلى قَدَرِ طاقَتِهِ ، أَوْ قَدَّمَ مَساعدَةً مَعنَويَةً أَوْ صَلَّى بِحرارةٍ مِنْ أَجلِ الآخِرِينَ ، يَكُونُ قَدِ شابَهُ الغَنيُّ بِعَطاءاتِهِ السَخِيَّةِ . المَهمُ أَنْ يَعطىَ الإنسانُ بِفرحٍ وَمَحَبَّةٍ .

الشَّابُّ : هَلْ يَكفى هَذا يا أبتى حَتَّى يَرضى اللهُ عَلِينا يَومَ مِيلادِهِ ؟

الكاهن : يبقى أن نطرح من قلوبنا كلَّ حقدٍ و غُضبٍ وخطيئة بالإعتراف أمام الكاهن قبل عيد الميلاد ،

ونتابع صلواتنا في البيت والكنيسة حتى نتهياً للاحتفال بقدّاس العيد والمناولة . فنحن نعيّد أولاً

في الكنيسة مع يسوع الطُفل وبعدها نأكل طعام العيد مع العائلة ، والأفضل أن نأكله في الكنيسة

بعد القدّاس مع الكاهن وكلّ الرعيّة ، وبذلك نُعبّر عن فرحنا ومحبتنا لبعضنا لبعض .

الشّاب : ولكن أحياناً كثيرة نرى الكنائس شبه فارغة يوم عيد الميلاد ، وإذا أتى بعضهم تشتمّ منهم

رائحة المشروب والطعام ، هذا ما كان يُخجلني إذا قدّستُ يومها على هذه الحال .

الكاهن : في يوم من أيّام عيد الميلاد أتى ساعي البريد إلى قرية وراح يطرق باب كلّ بيت ، ويُسلمهم

رسالةً كُتِبَ عليها من الخارج :

"إلى أبنائي الأحبّاء في غربتهم "

وفي نصّ الرّسالة جاء ما يلي :

"ها أنا قد خرجتُ في ملء الزّمان من بيتِ أبي أبحثُ عنكم بعد أن انتظرتُ عودتكم طويلاً دون

فائدة . كنتُ أنظرُ إليكم دون أن أرى فيكم شوقاً إليّ . فتّشتُ في قلوبكم فلم أجد إلا صقيع

الأهواء قد جممَدَت فيكم لهيبَ الحبِّ وحوَّلَتكم عني . بحثتُ في أفكاركم فلم أَعثر إلا على
انشغالاتٍ وهمومٍ دنيويَّةٍ كثيرة . بحثتُ في أذهانكم عن صورةٍ لي ، لأبي ، فلم أجد إلا أصنامَ
الملذَّاتِ والخطايا تُثَنِّنيكم عن الاقتراب إليّ .

بعدَ ذلك ذهبتُ إلى الكنائس فوجدتها فارغة . لقد تخلَّى شعبي عني . تركوني أنا ينبوع
الماءِ الحيِّ وحفروا لهم آباراً مشقَّقة لا تضبط ماء " (إرمياء 2 : 13) .

عودوا إليّ يا خرافي . ها أنا أتيتُ لأخلصكم من آلامكم ، وأرفعكم من بؤسكم ، وأُسكنكم
في ملكوتي الذي أعدته لكم .

عودوا إليّ يا إخوتي . ها أنا في مذود البهائم أنتظرُ قدومكم لتحتفلوا معي بعيد ميلادي .

كيف تعيِّدون هذا العيد دون صاحب العيد ؟ أدخلوني إلى بيوتكم ، أعني قلوبكم ، وأدفنوني
بحرارة حبكم من بردِ النسيان والهجران . هذا هو مسكني المفضَّل ، فلماذا تطردوني منه
خارجاً إلى صقيع الإهمال والتناسي ؟ هل احتلَّ بابانويل مكاني في عيدي ؟ هل صار
طعام العيد مآذب وولائم ؟ و لمن ذُبِحْتُ أنا ؟ مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي ؟

عودوا إليَّ يا خرافي ! لقد تركتُ التسعة والتسعين وأتيتُ أبحثُ عن خروفي الضالِّ بينَ

أشواكِ الدنيا القاتلة . كم أتشوقُ للقيامكم ! كم أتشوقُ لخلاصكم ! "

حبيبكم الفادي

يسوع المسيح

صُعِقَ أهلُ القريةِ عندَ قراءتهم رسالةَ يسوع ، وهبوا إلى كنيستهم المتواضعة في وسط

قريتهم، والدموع تنهمر من عيونهم ، وقلوبهم تفتطّر لملاقات حبيبهم يسوع . وما أن

اقتربوا من الكنيسة حتى دُقَّتْ أجراسُها فرحًا، ورتلتِ الملائكةُ على مسامعهم : "المجدُ لله في

العلیٰ وعلى الأرضِ السَّلام وفي النَّاسِ المِسرة " . واستنارت الكنيسةُ بأنوارِ المجدِ أبهرتُ

البصائرَ وأسرتِ القلوب . وعيَّدَ النَّاسُ مع صاحب العيد بفرح وسلام .

الشَّاب : مَنْ دَقَّ أَجْرَاسَ الكَنِيسَةِ يا أبتي الجليل ، وَأَنْوَارُ مَنْ انبَثَّتْ في الكَنِيسَةِ ؟

الكاهن : كلُّ هذه البهجة ، بهجة العيد يشعر بها فقط الذين يُعيدونَ مع يسوع عيدًا ملؤه الحبّ والإيمان .
إنَّها النِّعمة ، هديّة يسوع يوم ميلاده ، يُهدِيها إلى كلِّ السَّاجدينَ له في مغارةِ قلوبهم ،
والمحتفلين معه في الكنيسة ، له المجد إلى الأبد . آمين .

الأب جورج (متني)

خادم رعية كفر عقاب